مَظَاهِرُ تَعْظِيمِ اللهِ تَعالَى في حَياةِ سِيبَوَيْهِ وعِلْمِهِ بالنَّحْوِ العَرَبِيّ

Manifestations of glorifying God Almighty in the life of Sibawayh and his knowledge of the Arabic grammar.

أ. نَصْرُ الدِّينِ وَهَّابي♥

تاريخ الاستلام: 2020-01-14 تاريخ القبــول: 2020-02-09

مُلَخَّصٌ: إنَّ مِن أَوْجبِ الواجبِ على المُؤْمنِ أنْ يُعظِّمَ رَبَّهُ بِما أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِنِعْمةِ الخلقِ مِنَ العَدَم، وبما أَكْرَمَهُ مِن فَضْلِهِ بواسِعِ النِّعَم، ويَزْدادُ هذا الوُجوبُ في حقِّ العُلَماءِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُم أَخْشى النّاسِ لله، وأَعْرَفِهم بما يجبُ لله، تَعالى، مِنَ التَّعْظيم. ثُمَّ إنَّهُ لَمّا كانَتِ اللُّغةُ مَدْخلًا أَسَاسًا لِفَهْمِ الدِّينِ، كانَ اللُّغَويُّونَ، والنُّحاةُ، مُيَسَّرينَ، أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِم، إلى رَعْيِ حَقِّ الله، تَعالى، في التَّعْظِيم؛ وسِيبَوَيْهِ إمامُ النُّحَاةِ، وزَعِيمُ اللُّغَوِيّين، ولَقَدْ رَأَيْنا مِنْ ذَلِكَ، في عِلْمِهِ، وُجوهًا شَتّى، في مُسْتَوَياتٍ شَتّى، حتّى لَكَأَنَّ نَحْوَهُ، ذاكَ، ما كانَ إلّا آلةً واصِلةً لَهُ بِرَبِّهِ، وكَأَنَّ مَقامَهُ مِنَ العِلْمِ بِهَذا النَّحْوِ ما كانَ إلّا مُكافَأَةً مِنَ الله، تَعالى؛ لِتَقْواهُ، وَوَرَعِهِ؛ ولَكِنَّ بحثًا في هَذا المَعْنى يَمُرُّ، وُجوبًا بِأَسْئلةٍ مِنْ مِثْلِ:

– ما مِقْدارُ التَّرْبيةِ الدِّينيَّةِ في نَشْأةِ سِيبَوَيْهِ؟ وما حَظُّهُ مِنْ عُلومِ الشَّريعةِ والفِقْهِ؟ وهَلْ للبَاحِثِ أَنْ يَقِفَ على شَواهِدَ كافِيةٍ، في كِتابِ سِيبويهِ، على تَعْظِيمِ الله تَعَالى؟ وهَلْ تَتَجاوَزُ هَذِهِ الشَّواهِدُ مُسْتَوى العِباراتِ التَّعْظِيمِيَّةِ التي يَقولُها كُلُّ مُسْلِمٍ إلى مُسْتَوى مَنْهَجِهِ في عِلْمِهِ؟

الكَلِماتُ المِفْتاحيّة: تَعْظيمُ الله؛ سِيبَوَيْه؛ نَحْو؛ لُغة القرآن؛ مَنْهج.

Preamble: If we agree that the study of language is our main gate to understand the Islamic religion, then we must admit that the language and linguistics scholars are paving the way more than any other scholars for the glorification of the creator. And Sibawayh is the leader of the syntax scholars and the head of the

♥جامِعةِ الشَّهيد حمّه لَخْضر بالوادِي، الجَزائِر، البريد الإلكتروني: ouahabi07@gmail.com (المؤلّف المرسل).

linguists, and this was proven from the fruit of his books from different perspectives according to various levels. It is believed that the legacy of his knowledge was like his tool that leads him to the worshipping of God. And, it was imagined that the rank that he was holding in this branch of language was a reward from his God Lord in return for his piety and fearing of Allah. Our paper here is dealing with questions from the following type: How much religious education that Sibawayh obtained? How much he has in terms of Islamic law and jurisprudence? Can we find adequate examples in Sibawayh's book for how he was respecting God? Are those examples found exceed the general ordinary statements that are said by the ordinary Muslims, and are those examples up to Sibawayh's level of knowledge?

- **أَوَّلًا: نَشْأةُ سِيبَوَيْهِ الدِّينِيَّةُ:** إنَّ مُراعاةَ المَوْلى، تَبارَكَ، وتَعالى، وتَعْظيمَ حَقِّهِ في نَفْسِ عَبْدِهِ، هُوَ مَعْنًى مَرْعِيٌّ، بِكُلِّ جَلاءٍ، في حَياةِ سِيبَوَيْهِ، بعامَّةٍ، وفي نَشْأَتِهِ الأُولى، بخاصَّةٍ، وهُوَ مَعْنى مَلْحوظٌ في غَيْرِ ما جانِبٍ مِنْ جَوانِبِ حَيَاتِهِ:

1-**التَّعْليمُ الدِّينيُّ:** يُشِيرُ كُلُّ مَنْ تَرْجَمَ لِسِيبَوَيْهِ إلى أَنَّهُ بَدَأَ الطَّلَبَ بالعُلومِ الدِّينيَّةِ ثُمَّ تَحَوَّلَ، للقِصَّةِ المَعْروفة، إلَى العُلُومِ اللُّغَوِيَّة[1]؛ ومِنْ ثَمَّ، فأَسَاسُ البِناءِ النَّفْسيِّ والفِكْريِّ، والوِجْدانيِّ، عِنْدَ الرَّجُلِ، هُوَ بِناءٌ دِينيٌّ، يَجْعَلُهُ قَريبًا مِنْ رَبِّهِ في كُلِّ ما يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ. ولِتَفْصيلِ بَعْضِ هذا المَعْنى نَقُولُ:

أ- **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** إنَّ ثَمَّةَ مُؤَشِّراتٍ عِدَّةً تَقْطعُ بأَنَّ مَعْرِفةَ سِيبَوَيْهِ بالقُرْآنِ الكَرِيمِ عَالِيَة، تَبْدأُ بالحِفْظِ، وتَتَعدَّاهُ إلى العِلْمِ التَّفْصيليِّ بِهِ على القَدْرِ الذي يَبْلُغُ به مَرْتبةً عَالِيةً هِيَ مَرْتَبَةُ النَّاقِلِ للقِراءَة، على ما سَنُفَصِّلُ القَوْلَ فِيهِ في مَوْضِعِهِ مِنْ هَذِهِ الوَرَقَةِ:

– في تَرْجَمةِ سِيبوَيْهِ، كمَا أَشَرْنا هُنَاك، أَنَّهُ بَدَأَ حَياةَ الطَّلَبِ بالعُلُومِ الدِّينِيَّة، ولا يَتَهَيَّأُ هذا الطَّلَبُ بغَيْرِ المُرورِ بِحِفْظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ حِفْظًا كامِلًا؛ يَقُولُ عَليٌّ النَّجْديُّ ناصِفٍ، مُتَحدِّثًا عَنْ دِراسَتِهِ: "**هَبَطَ سِيبَوَيْهِ البَصْرةَ، والدِّراسَةُ الإِسْلامِيَّةُ نَوْعانِ: دِينِيَّةٌ، وأَدَبِيَّةٌ: وتَشْمَلُ الدِّينِيَّةُ القِراءاتِ، والتَّفْسيرَ، والحَدِيثَ، والفِقْهَ، وتَشْمَلُ الأَدَبِيَّةُ اللُّغَةَ، والنَّحْوَ، والصَّرْفَ، ورِوايَةَ الشِّعْرِ، وغَيْرَها، ...وقَدْ طَلَبَ سِيبَوَيْهِ، أَوَّلًا، عُلومَ الدِّينِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إلى عُلُومِ الأَدَبِ**"[2].

– وفي كِتابِ سِيبَوَيْهِ شَواهِدُ جَلِيَّةُ الدَّلالةِ على عِلْمِ الرَّجُلِ بالقُرْآنِ؛ فمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَقِبَ بَعْضِ اسْتِشْهاداتِهِ القُرْآنِيَّةِ: "**وهَذَا، في القُرْآنِ، كَثِيرٌ**"[3]، ولا يَقولُ هَذا غَيْرُ عارِفٍ بالقُرْآنِ الكَرِيم.

– وفي الكِتابِ 477 آيةً قُرْآنِيَّةً[4] تَكْفي نَظْرَةٌ في فَهْرَسِهِ للشَّواهِدِ القُرْآنِيَّةِ لِيَجِدَ النَّاظِرُ أَنَّها مَأْخوذَةٌ مِنْ غالِبِ سُوَرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، ومِنْ كُلِّ أَجْزائِهِ[5]؛ وهُوَ أَمْرٌ دالٌّ على مَعْرِفَةِ سِيبَوَيْهِ بالقُرْآنِ الكَرِيمِ مَعْرِفَةَ إحاطةٍ، وإلْمامٍ. بَلْ إنَّ مِنْ غَريبِ ما رَوَوْا في هَذَا أَنَّ أَبا عُثْمانَ المَازنيَّ كانَ قَدْ أَبى أَنْ يَقْرأَ كِتابَ سِيبَوَيْهِ على يَهُوديٍّ لِكَثْرةِ ما فِيهِ مِنَ القُرْآنِ مَخافَةَ أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْ كَلامِ الله تَعالى.[6]، وفي مِثْلِ هَذا يَقُولُ الدُّكْتورُ عَبْدُ الله النَّغِيمشِي: "**يَظْهَرُ أَنَّ سِيبَوَيْهِ كانَ حَافِظًا لِكِتابِ الله، مُسْتَظْهِرًا لَهُ، ومَنْ يَنْظُرْ في كِتابِهِ بتَمَعُّنٍ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ، وهُوَ يَتَناوَلُ القَضايا النَّحْوِيَّة، قَدْ وَضَعَ المُصْحَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ**"[7].

ب– **القِراءاتُ القُرْآنِيَّةُ:** وتَفْريعًا عَلى عِلْمِ سِيبَوَيْهِ بالقُرْآنِ الكَرِيمِ نَعْرِضُ إلى عِلْمِهِ بالقِراءاتِ القُرْآنِيَّة؛ وأَبْرَزُ ما نَجِدُ، هُنَا، ما في تَرْجَمةِ ابنِ الجَزَرِيِّ لَهُ في كِتابِهِ "غَايَةُ النِّهايَةِ في طَبَقاتِ القُرَّاء"؛ قالَ عَنْهُ: "**إِمَامُ النَّحْوِ، رَوَى القِراءَةَ عَنْ أَبِي عَمْرِو بنِ العَلاء، كَذا رَوَى الهُذَلِيُّ، وهُوَ بَعِيدٌ، رَوى القِراءَةَ عَنْهُ أَبُو عَمْرٍو الجَرْمِيُّ، واللهُ أَعْلَمُ**"[8]. وقَدْ نَاقَشَ بَعْضُ الدّارِسِينَ اسْتِبْعادَ ابنِ الجَزَرِيِّ لِروايةِ الهُذَلِيِّ هَذِهِ؛ ومُعْتَمَدُهُم في الاسْتِبْعادِ ما نَقَلَهُ بَعْضُ الحُفَّاظِ؛ كالذَّهَبِيّ، مِنْ أَنَّ الهُذَلِيَّ صاحِبُ أَغَالِيطَ ورِواياتٍ ضَعِيفةٍ كَثِيرة[9]، لَكِنَّ هَذا مُقابَلٌ بما نَقَلَهُ كُلُّ مُتَرْجِمي الهُذلِيِّ مِنْ أَنَّهُ الرَّجُلُ الذي لَمْ يَبْذُلْ عَالِمٌ في جَمْعِ القُرْآنِ ما بَذَلَهُ؛ فهُوَ صَاحِبُ أَكْبَرِ رِحْلةٍ في تَاريخِ الإِسْلامِ في لِقاءِ عُلَماءِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، ومُعَلِّمِيهِ[10]. وفي هَذَا المَعْنى يَقُولُ الدُّكْتورُ إِدْرِيسُ مَقْبولٍ: "**فالهُذَلِيُّ، كَما هُوَ ظاهِرٌ، مِنَ المُجْتَهِدينَ المُكْثِرينَ في جَمْعِ القِراءاتِ، وهُوَ مَحْفوفٌ، فِي كُلِّ ذَلِك، بِأَسَانِيدَ يَصْعُبُ تَعْمِيمُ حُكْمِ الذَّهبِيِّ على بَعْضِها لِيَشْمَلَ ما نَحْنُ بِصَدَدِهِ، وبِهِ يَضْعُفُ، عِنْدي، هَذا الاِحْتِمالُ، ولا يَتَرَجَّحُ**"[11] والبَاقي في المَسْألةِ هُوَ بَحْثُ مُوَافَقةِ سِنِّ سِيبَوَيْهِ لأَنْ يَأْخُذَ القِراءةَ عَنْ أَبي عَمْرٍو؛ وقَدْ حَقَّقَ فِيهِ الدُّكْتورُ مَقْبولٌ بِما انْتَهى فِيهِ إِلى تَرْجيحِ أَنْ يَكُونَ سِيبَوَيْهِ وَافَقَ مِنْ حَياةِ أَبي عَمْرٍو خَمْسَةَ عَشَرَ عامًا؛ وهِيَ سِنٌّ تَسْمَحُ، مَعَ كَثِيرٍ مِنَ الطُّمَأْنِينةِ، بأَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ القِراءَة[12]، كَما يَذْكُرُ عَلِيٌّ النَّجْديِّ ناصِفُ أَنَّهُ عَثَرَ في الكِتابِ نَفْسِهِ عَلى ما يَثْبُتُ بِهِ نَقْلُ سِيبَوَيْهِ عَنْ أَبي عَمْرٍو، وذَلِكَ قَوْلُهُ:

"**ورَأَيْتُ أَبَا عَمْرٍو أَخَذَ بِهِنَّ في قَوْلِهِ تَعَالى: "يَا وَيْلَتا أَأَلِدُ**"[13]. عَلى أَنَّ الغَايَةَ، عِنْدَنا، هِيَ تَكْثِيرُ الدَّلائِلِ عَلى سَعَةِ عِلْمِ سِيبَوَيْهِ بِكَلامِ الله، تَعَالى، مِمّا لا يَصْلُحُ وَصْفًا لِغَيْرِ قَرِيبٍ مِنَ الله، تَعَالى.

ت- **الحَدِيثُ النَّبَويُّ الشَّرِيفُ:** غَيْرُ خافٍ أَنَّ الحدِيثَ النَّبَويَّ الشَّرِيفَ كانَ أَوّلَ ما قَصَدَهُ سِيبَوَيْهِ بالتَّحْصِيلِ؛ قالَ القِفْطيُّ: "**كانَ سِيبَوَيْهِ، في أَوَّلِ أَيَّامِهِ، صَحِبَ الفُقَهاءَ، وأَهْلَ الحَدِيثِ**"[14]. بَلْ إِنَّ قِصَّةَ تَحَوُّلِهِ إِلى العُلُومِ اللُّغَوِيَّةِ ما كَانَتْ إِلَّا في مَجْلِسِ حَدِيثي؛ قَالَ الزَّبِيديُّ: "**قَالَ أَبُو عَليٍّ البَغْدادِيُّ: وُلِدَ سِيبَوَيْهِ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرى شِيراز، يُقالُ لَهَا: البَيْضاء؛ مِنْ عَمَلِ فارِسَ، ثُمَّ قَدِمَ البَصْرَةَ لِيَكْتُبَ الحَدِيثَ، فَلَزِمَ حَلْقَةَ حَمَّادِ بنِ سَلَمَة، فَبَيْنا هُوَ يَسْتَمْلي عَلى حَمَّادٍ قَوْلَ النَّبيِّ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ، : "لَيْسَ مِنْ أَصْحابي إِلّا مَنْ لَوْ شِئْتُ لَأَخَذْتُ عَلَيْهِ لَيْسَ أَبَا الدَّرْداءِ"، فَقالَ سِيبَوَيْهِ: لَيْسَ أَبُو الدَّرْداءِ. وظَنَّهُ اسْمَ "لَيْسَ"، فَقالَ حَمَّادٌ: لَحَنْتَ، يا سِيبَوَيْهِ. لَيْسَ هَذا حَيْثُ ذَهَبْتَ. وإِنَّما لَيْسَ، هاهُنا اسْتِثْناء، فَقالَ: سَأَطْلُبُ عِلْمًا لا تُلَحِّنُني فِيهِ فَلَزِمَ الخَليلَ، فَبَرَعَ**"[15]. كَمَا تَظَافَرَتْ رِواياتٌ أُخْرى عَلى أَنَّهُ ظَلَّ مُثابِرًا على طَلَبِ الحَدِيثِ، والبَحْثِ فِيهِ حَتّى بَعْدَ قِصَّتِهِ مَعَ حَمَّادٍ هَذِهِ[16].

2- **لُزُومُهُ الخَليلَ بْنَ أَحْمَدَ:** والمَأْخوذُ بِهِ، في هَذَا، هُوَ أنّ سِيبَوَيْهِ، كَكُلِّ تِلْميذٍ هُوَ امْتِدادٌ لِشَيْخِهِ، وتَفَرُّعٌ عَنْهُ، وأَبْرَزُ شُيُوخِ سِيبَوَيْهِ هُوَ الخَلِيلُ، وأَبْرَزُ ما يُمَيِّزُ الخَلِيلَ في شَخْصِهِ، زُهْدُهُ، وعَفافُهُ، وتَقْواهُ، ووَرَعُهُ[17]، ولَقَدْ نَقَلُوا، في هَذَا، رِواياتٍ كَثِيرةً والأَدْنى إِلَى الفَهْمِ أَنَّ رَجُلًا في وَرَعِ الخَلِيلِ لا يَجْمُلُ بِهِ أَنْ يُورِثَ عِلْمَهُ، ويَعْمُرَ مَجالِسَهُ بِغَيْرِ ذِي وَرَعٍ، وتَقْوى مِثْلِهِ، فما بِسِيبَوَيْهِ مِنْ تَعْظِيمٍ لله تَعَالى لَيْسَ غَيْرَ أَثَرٍ لِتَنْشِئَةِ الخَلِيلِ لَهُ، ومَعْلومٌ أَنَّ للشَّيْخِ نَفاذًا كَبِيرًا إِلى نَفْسِ تِلْمِيذِهِ، ووِجْدانِهِ.

- **ثَانِيًا: مَظاهِرُ تَعْظِيمِ الله تَعالى في نَحْوِ سِيبَوَيْهِ:** والمُرادُ بهذَا كُلُّ ما يَدُلُّ عَلى تَعْظِيمِ الله، تَعَالى، في نَحْوِ سِيبَوَيْهِ مِمَّا يُؤْخَذُ مِنْ كِتابِهِ، لا مِمَّا يُسْتَفادُ مِنْ الرِّواياتِ المَنْقُولَةِ؛ وهَذِهِ بَعْضُ تِلْكَ المَظَاهِرِ:

– سَلامَةُ الاعْتِقادِ[18]: مِنَ المَعْلومِ، لَدَى الدَّارِسِينَ، أَنَّ النَّحْوَ عِلْمٌ واصِفٌ لِلُغَةِ القُرْآنِ الكَرِيم، ومِنْ هُنَا جاءَتْ صِلَتُهُ الوَثِيقَةُ بالتَّفْسِير، بَلْ إِنَّهُ لا تَفْسِيرَ بِغَيْرِ العِلْمِ بالآلَةِ

اللُّغَوِيَّةِ، وهُوَ الذي مَكَّنَ غَيْرَ واحِدٍ مِنَ النَّحْوِيِّينَ، مِنْ ذَوي الآراءِ الكَلَامِيَّةِ المُنْحَرِفةِ، مِنْ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ عِلْمِهِ بالنَّحْوِ آلةً لِنُصْرةِ مَذْهَبِهِ، ولَكِنّا حِينَ نَنْظُرُ في نَحْوِ سِيبَوَيْهِ نَلْقاهُ بَرِيئًا مِنَ النَّزْعةِ المَذْهَبِيَّةِ، ومِنَ التَّعَصُّبِ للانْتِماءِ الكَلامِيِّ غَيْرِ السُّنِّيِّ[19]؛ ومِنْ آياتِ ذَلِكَ:

– **عَدَمُ وَصْلِ البَحْثِ اللُّغَوِيِّ بِما وَراءَ المَادَّةِ الصَّوْتِيَّة:** وهُوَ واحِدٌ مِنْ وُجُوهِ لُزُومِهِ حَدَّ تَخَصُّصِهِ العِلْمِيّ، عَلى ما سَنَذْكُرُهُ لاحِقًا، إِنْ شاءَ الله، والمَعْنى، في هَذَا العُنْوانِ، مُوَافِقٌ لِتَعْرِيفِ ابنِ جِنّي الشَّهِير: "**حَدُّ اللُّغَةِ أَصْواتٌ يُعَبِّرُ بِها كُلُّ قَوْمٍ عَنْ أَغْراضِهِم**"[20]، وسِيبَوَيْهِ، في دِرَاسَتِهِ النَّحْوِيَّةِ، إِنّما يَبْني أَحْكامَهُ عَلى اللَّفْظِ، والمَادَّةِ الصَّوْتِيَّةِ، دُونَ النَّفَاذِ إِلى ما قَدْ يَتَلَبَّسُ بِها مِنَ المَعاني المُرَادَةِ لِغَيْرِ القُصُودِ التَّواصُلِيَّةِ المُحَايِدَة؛ فَفِي مَسْأَلَةِ الاسْمِ والمُسَمَّى، مَثَلًا، ذَهَبَ المُعْتَزِلَةُ، جَرْيًا على قَوْلِهِم بِخَلْقِ القُرْآنِ، إِلَى أَنَّ الاسْمَ غَيْرُ المُسَمَّى، وأَنَّ الأَسْماءَ، والصِّفاتِ مَخْلوقاتٌ[21]، وقَدْ حَقَّقَ العُلَماءُ مِنْ عِلْمِ سِيبَوَيْهِ أَنَّهُ يَبْني التَّحْليلَ اللُّغَوِيَّ عَلى أَنَّ الاِسْمَ غَيْرُ المُسَمَّى لِمَعْنًى غَيْرِ الذي عَنَاهُ المُعْتَزِلَةُ، ومَنْ وَافَقَهُمْ[22]، والمَعْنى أَنَّ حَقِيقةَ الاِسْمِ حَقِيقةٌ لَفْظِيَّةٌ (=حَقِيقةٌ صَوْتِيَّةٌ)، مُنْفَصِلةٌ عَنِ المُسَمَّى، ويَصِحُّ أَخْذُ هَذا مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ في: (بابُ ما يَنْتَصِبُ لأَنَّهُ خَبَرٌ للمَعْروفِ المَبْنيِّ على مَا قَبْلَهُ مِنَ الأَسْماءِ المُبْهَمَةِ): "**وإِذَا ذَكَرْتَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأَسْماءِ التي هِيَ عَلامَةٌ للمُضْمَرِ، فإِنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَظْهَرَ بَعْدَها الاِسْمُ إِذا كُنْتَ تُخْبِرُ عَنْ عَمَلٍ، أَوْ صِفةٍ غَيْرِ عَمَلٍ، ولا تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَهُ بِأَنَّهُ زَيْدٌ، أَوْ عَمْرو**"[23]، فهُوَ، هُنَا،مَيَّزَ، بجَلاءٍ، بَيْنَ المُسَمَّى واللَّفْظِ الذي هُوَ عَلامَةٌ لَهُ، يُمَيِّزُ تَمْيِيزًا يَجْعَلُهُ بَعِيدًا عَنْ أَنْ يَسُوقَ المَعْنى لِرَأْيٍ مِنَ الآراءِ الكَلَامِيَّةِ غَيْرِ ما عَلَيْهِ عُلَماءُ السُّنَّةِ والجمَاعَة[24].

كَمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى سَلَامةِ اعْتِقادِ سِيبَوَيْهِ وبَرَاءَتِهِ مِنَ الأَقْوالِ الكَلَامِيَّةِ المُنَافِيَةِ لِمَا عَلَيْهِ المَأْثُورُ عَنْ رَسُولِ الله تَعَالى، وصَحَابَتِهِ الكِرَام، أَنَّهُ لَمْ يُعْثَرْ في كِتَابِهِ عَلَى كَلَامٍ فِيهِ لَـيٌّ لِتَرْكِيبٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ لِمَا يُفِيدُ رَأْيًا كَلَامِيًّا مُنْحَرِفًا عَنِ المَأْثُورِ؛ قالَ الدُّكْتورُالنُّغِيمشِي: "**لَمْ يَرِدْ في كِتَابِهِ–أَعْني سِيبَوَيْهِ– فِقْرةٌ وَاحِدةٌ، بَلْ، ولا كَلِمَةٌ واحِدةٌ تَجْعَلُنا مِنْ خِلالِها نَحْكُمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ شِيعِيٌّ، أَوْ مُعْتَزِلِيٌّ**"[25].

– **تَعْظِيمُ لَفْظِ الجَلالَةِ:** ويُرى ذَلِك في أَنَّهُ يُمَيِّزُ اسْمَ الله تَعَالى عَمّا سِواهُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ عَزَّ وجَلّ؛ قالَ مُتَحَدِّثًا عَنْ تَصَرُّفِ العَرَبِ في هَذَا الاسْمِ: "**قَدْ صَرَفُوا هَذَا الاِسْمَ عَلى**

وُجُوهٍ لِكَثْرَتِهِ في كَلَامِهِم، ولأَنَّ لَهُ حالًا لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ"[26]. كَمَا نَجِدُ هَذا الاِسْمَ مُمَثَّلًا بِهِ عِنْدَهُ في مِثْلِ قَوْلِهِ في التَّمْثيلِ لِلاِسْمِ يَسْتَغْني عَنِ الفِعْلِ: "**والاِسْمُ قَدْ يَسْتَغْني عَنِ الفِعْلِ: تَقُولُ: الله إِلَهُنَا**"[27]، وفي تَمْثِيلِهِ هَذا تَنْويهٌ بِأُلُوهِيَّةِ المَوْلى تَبَارَكَ وتَعَالى، كَمَا يُسْتَفادُ مِنْهُ تَغْليبُ الاِشْتِقاقِ في تَفْسيرِ اسْمِ الله، وأَنَّهُ مِنَ الإِلَهِ؛ والإِلَهُ المَأْلُوهُ؛ وهُوَ المَخْصُوصُ بالعِبادةِ دُونَ سِوَاهُ تَعْظيمًا لَهُ، عَزَّ وجَلَّ؛ قالَ سِيبَوَيْهِ: "**وكَأَنَّ الاِسْمَ، والله أَعْلَمُ، إِلَهٌ، فلَمَّا أُدْخِلَ فِيهِ الأَلِف ُواللَّامُ حَذَفُوا الأَلِفَ وصارَتْ الأَلِفُ واللَّامُ خَلَفًا مِنْهُ**"[28].

كَمَا نَعْرِفُ مِنَ المَرْوِيِّ عَنْ سِيبَوَيْهِ قِصَّةَ مَنْ رَآهُ في المَنامِ، فقَالَ لَهُ: مَا حَالُكَ عِنْدَ الله؟ فقَالَ: قَدْ غَفَرَ لي، وأَدْخَلَني الجَنَّةَ؛ لأَنّي جَعَلْتُ أَعْرَفَ المَعَارِفِ: "**الله**"[29]. وذَكَرَ الدُّكْتورُ النُّغِيمشِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ في كِتابِ سِيبَوَيْهِ، وأَنَّهُ مِنَ الجائِزِ أَنَّهُ قَالَهُ في غَيْرِ كِتابِهِ، وهُوَ تَجْويزٌ سائِغٌ، إِنْ شاءَ الله[30]. ومِنْ تَعْظيمِ سِيبَوَيْهِ لِاسْمِ الله تَعَالى قَوْلُهُ: "**واعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَوْضِعٍ يَجُوزُ فِيهِ التَّعْظِيم، ولا كُلُّ صِفةٍ يَحْسُنُ أَنْ يُعَظَّمَ بِهَا، ولَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الكَلامِ يَكُونُ تَعْظِيمًا لله، عَزَّ وجَلَّ، يَكُونُ تَعْظِيمًا لِغَيْرِهِ مِنَ المَخْلُوقِين، لَوْ قُلْتَ: الحَمْدُ لِزَيْدٍ؛ تُرِيدُ: العَظَمَةَ، لَمْ يَجُزْ**"[31].

الاِسْتِثْناءُ: وهُوَ قَوْلُ: "إِلّا أَنْ شَاءَ الله"[32]؛ ومَعْناهُ أَنْ يَجْعَلَ المُتَكَلِّمُ مَشِيئَةَ المَوْلى تَبَارَكَ وتَعَالى، شَرْطًا لِمَا سَيَفْعَلُ، أَوْ يَقُولُ، ودَلِيلُهُ قَوْلُهُ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ لِضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ: "**حُجِّي، واشْتَرِطِي؛ فإِنَّ لَكِ عَلى رَبِّكِ ما اسْتَثْنَيْتِ**"[33]. ونَجِدُ سِيبَوَيْهِ يَسْتَثْني في مَواضِعَ مِنْ كِتَابِهِ بِما هُوَ وَجْهٌ مِنْ وُجُوهِ تَعْظِيمِ الله تَعَالى الدَّالِّ على عَقِيدَتِهِ الصَّحِيحَةِ؛ يَقُولُ، في مُفْتَتَحِ كِتَابِهِ: "فهَذِهِ الأَمْثِلَةُ التي أُخِذَتْ مِنْ لَفْظِ أَحْداثِ الأَسْماء، ولَهَا أَبْنِيةٌ كَثِيرةٌ، سَتُبَيَّنُ، **إِنْ شَاءَ الله**"[34]، ويَقُولُ، في بَعْضِ وَعْدِهِ بالتَّفْصِيلِ: "**وسَتَرَى ذَلِك، إِنْ شَاءَ الله**"[35]. وفي بَعْضِ وَعْدِهِ بالتَّمْثيلِ: "**وسَتَرَى مِثْلَ ذَلِك، إِنْ شَاءَ الله**"[36].

وفي الاِسْتِثْناءِ امْتِثالٌ لِأَمْرِ الله تَعَالى، ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝٢٤ ﴾ الكهف: ٢٣ – ٢٤ [37]. وقَريبٌ مِنْ هَذا قَوْلُ القَائِلِ: "**لله أَعْلَمُ**"، وهُوَ مِنَ التَّأَدُّبِ مَعَ الله تَعَالى، والرُّجُوعِ بالعِلْمِ إِلَيْهِ، والإِقْرارِ بعَجْزِ الإِنْسَانِ عَنْ أَنْ يَتَّصِفَ بالكَمَالِ فِيما

يَقُولُ، أَوْ يُفْتي، أَوْ غَيْرِ ذَلِك، قالَ النَّوَوِيُّ، رَحِمَهُ الله، في "**مُقَدِّمَةُ المَجْمُوعِ**"، وقَدْ ذُكِرَ فِيها جُمْلَةٌ مِنْ آدابِ الفَتْوى: **قالَ الصَّيْمَرِيُّ**: "**ولَا يَدَعُ خَتْمَ جَوابِهِ بِقَوْلِهِ**: "**وبالله التَّوْفِيقِ**"، **أَوْ**: "**والله أَعْلَمُ**"، **أَوْ**: "**والله المُوَفِّقُ**".**ولَيْسَ في ذَلِك تَشْكِيكٌ في الحَدِيثِ، أَوِ الحُكْمِ الذي يَذْكُرُهُ المُفْتي، بَلْ حَتَّى لَوْ كانَ العالِمُ مُصِيبًا في حُكْمِهِ، فإنَّهُ ما مِنْ عَالِمٍ إلّا والله، تَعالى أَعْلَمُ مِنْهُ قالَ الله تَعالى:**﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ يوسف: ٧٦ [38] وفي كِتابِ سِيبَوَيْهِ وَجَدْنا قَوْلَهُ: "هَذَا بابٌ مِنَ النَّكِرَةِ يَجْري مَجْرى ما فِيهِ الأَلِفُ واللَّامُ مِنَ المَصَادِرِ، والأَسْماءِ: وأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، فإنَّهُ لا يَنْبَغي أَنْ تَقُولَ إنَّهُ دُعاءٌ، ها هُنا؛ لأَنَّ الكَلامَ بِذَلِك قَبِيحٌ، واللَّفْظُ بِهِ قَبِيحٌ، ولَكِنَّ العِبادَ إنَّما كُلِّمُوا بكَلَامِهِمْ، وجاءَ القُرْآنُ على لُغَتِهم، وعَلى ما يَعْنونَ، فكَأَنَّهُ، **والله أَعْلَمُ**، قِيلَ لَهُمْ: وَيْلٌ للمُطَفِّفِينَ، وَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمُكَذِّبِينَ؛ أَيْ هَؤُلاءِ مِمَّنْ وَجَبَ هَذَا القَوْلُ لَهُمْ"[39]. ومِثْلُهُ القَوْلُ الذي سَاقَهُ في شَرْحِ اسْمِ الله تَعَالى قالَ: "**وكَأَنَّ الاِسْمَ، والله أَعْلَمُ، إلَهٌ، فلَمَّا أُدْخِلَ فِيهِ الأَلِفُ واللَّامُ حَذَفُوا الأَلِفَ وصَارَتْ الأَلِفُ واللَّامُ خَلَفًا مِنْهُ**"[40]، فَلا يَخْتَلِفُ اثْنانِ في أَنَّ رَدَّ العِلْمِ لله مِمَّا فِيهِ تَعْظِيمٌ لله تَعَالى.

– **الثَّناءُ عَلى اللهِ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ**: وذَلِكَ قَوْلُ القائِلِ، في حَقِّ الله، تَعَالى: "**سُبْحانَهُ وتَعالى**" و"**تَبارَك وتَعالى**"، و"**جَلَّ ثَناؤُهُ**"، و"**تَعالى جَدُّهُ**"، وغَيْرُها؛ ولَقَدْ وَجَدْنا لِسِيبَوَيْهِ الْتِزامًا بِذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ مَوْضِعٍ يَذْكُرُ فِيهِ اسْمَ الله، تَعالى؛ تَعْظِيمًا لَهُ، ومُراعاةً لَهُ في عِلْمِهِ، على ما هُوَ مُحالٌ عَلَيْهِ، ها هُنَا، مُقْتَصِرًا فِيهِ على الجُزْءِ الأَوَّلِ فحَسْبُ:

- **قَوْلُهُ**: "**عَزَّ وجَلَّ**": 1/ 37-41-50-56-59-74-89-99-140-142-148-151-152-153-157-166-176-180-183-212-236-237-257-260-320-336-346-381-382-398-425-432-435-440.
- **قَوْلُهُ**:"**تَبارَك وتَعالى**":1/40-142-143-155-201-210-267-332-381.
- **قَوْلُهُ**: "**سُبْحانَهُ**": 1/40-237-386.
- **قَوْلُهُ**: "**جَلَّ ثَناؤُهُ**: 1/15-81-122-143-172-174-175-237-326-381.

- **قَوْلُهُ: "جَلَّ جَدُّهُ"**: 1/65-141-166-212-237-331.

ومِمَّا يَلْحَقُ بتَعْظِيمِ المَوْلى، عَزَّ وجَلَّ، التَّنْوِيهُ بالصُّحْبةِ في ذِكْرِ مَنْ لَهُ صُحْبةٌ برَسُولِ الله، صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وتَعْظيمُ الصُّحْبةِ مِنْ تَعْظِيمِ النُّبُوَّةِ، وتَعْظيمُ النُّبُوَّةِ مِنْ تَعْظيمِ الله تَعَالى؛ قالَ سِيبَوَيْهِ، في سِياقِ تَمْثِيلِهِ بِبَيْتٍ شِعْرِيٍّ: "**وقالَ الشَّاعِرُ؛ وهُوَ عَبْدُ الله بْنُ الحارِثِ السَّهْمِيُّ، مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ الله، صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ ....**"[41]

– ومِمَّا يُلاحَظُ على سِيبَوَيْهِ في كِتابِهِ كَثْرَةُ تَمْثِيلِهِ بالاِسْمِ "**عَبْدُ الله**"؛ فقَدْ أَحْصَيْتُ في الكِتابِ ما يَزِيدُ على 400 مَرَّةً جاءَ التَّمْثِيلُ فِيهَا بهذا الاِسْمِ، وهُوَ ما جَعَلَ اسْمَ الله تَعَالى أَكْثَرَ الأَسْماءِ دَوَرانًا في كِتَابِهِ.

- **ثالثًا: مُراقَبَةُ الله، تَعالى، في بَحْثِ لُغَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ:** ومُرادُنا مِنْ هَذا أَنَّ سِيبَوَيْهِ، ومَعَ أَنَّهُ الإمامُ في النَّحْوِ المُسَلَّمُ لَهُ فِيهِ، إِلَّا أَنَّ الصَّنْعةَ النَّحْويَّةَ ما كانَتْ لِتُوَجِّهَ فِكْرَهُ إِلّا بالقَدْرِ الذي تُرَاعى فِيهِ الدَّلَالةُ القُرْآنِيَّةُ، وما يَنْبَغي للقُرْآنِ مِنْ قَوَاعِدَ في تَفْسِيرِهِ، وأُصُولٍ في تَأْوِيلِهِ، فلَمْ نَرَ سِيبَوَيْهِ في تَوْجِيهِ ما يَقَعُ فِيهِ التَّجَاذُبُ بَيْنَ الإعْرابِ، والتَّفْسِيرِ[42] يَنْتَصِرُ لِلْإِعْرابِ ويُهْمِلُ مُقْتَضَى التَّفْسِيرِ، بَلْ إِنَّ لَهُ في هَذا كَلِمةً خَلِيقَةً بأَنْ تُتَّخَذَ عُنْوانًا لِدِراسَةٍ مُسْتَفِيضةٍ في وُجُوبِ مُراعاةِ مُعْرِبِ القُرْآنِ للمَعْنى التَّفْسِيرِيِّ الذي يُسْتَفادُ مِنْ غَيْرِ اللُّغَةِ؛ بَلْ قَدْ فَعَلَ بَعْضُهُم ذَلِكَ، وكَتَبَ فِيهِ دِراسَةً مُمْتازةً؛ قالَ سِيبَوَيْهِ: "**إِنَّ النَّحْوِيِّينَ يَتَهاوَنونَ بالخُلْفِ إِذَا عَرَفُوا الإِعْرابَ**"[43]؛ وهَذا المُصْطَلَحُ "**الخُلْفُ**"، الذِي يَقُولُهُ سِيبَوَيْهِ، هُنَا، هُوَ: "**ما يَتَوارَى مِنْ دَلالاتٍ سِياقِيَّةٍ حَالِيةٍ لا تَدُلُّ عَلَيْها البُنَى اللَّفْظِيَّةُ التَّرْكِيبِيَّةُ لَكِنَّ الكَشْفَ عَنْها، والْتِماسَها في التَّحْلِيلِ اللُّغَوِيِّ أَسَاسٌ في حُصُولِ التَّمَامِ الدَّلالِيِّ بُغْيةَ كَمالِ الإِعْرابِ**"[44]. والكَلَامُ في هَذا، يَطُولُ لأَنَّ فِيهِ إِحَالةً على عِلْمٍ قائِمٍ بِذاتِهِ؛ هُوَ عِلْمُ إِعْرابِ القُرْآنِ الكَرِيم، وهُوَ عِلْمٌ يَقُومُ على أُصُولٍ، ويُبْنى على ضَوَابِطَ تُوَجِّهُ الاِشْتِغالَ بِهِ[45]، والأَسَاسُ فِيهِ هُوَ ضَبْطُ آلةِ الإِعْرابِ بِمَا يَخْدُمُ الدَّلالةَ الشَّرْعِيَّةَ المُضَمَّنَةَ في التَّرْكيبِ القُرْآنيِّ، وخِدْمةُ الدَّلالةِ الشَّرْعِيَّةِ هِيَ مُرَاعاةُ لِمُرادِ الله تَعَالى مِنْ كَلَامِهِ، وتَعْظيمًا لِقَصْدِهِ مِنْهُ، وهُوَ مِمَّا نَبَّهَ سِيبَوَيْهِ نَفْسَهُ عَلَيْهِ حِينَ رَأَى أَنَّ النَّحْوِيِّينَ يَتَهاوَنونَ فِيهِ، لِذَا رَأَيْنا الرَّجُلَ مُلْتَزِمًا جَمِيلَ الاِلْتِزامِ بِمُراعاةِ ما يَنْبَغي للقُرْآنِ الكَرِيمِ مِنَ العِلْمِ الشَّرْعيِّ الذي يَعْلَمُ سِيبَوَيْهِ نَظَرِيَّةً، وتَطْبِيقًا بأَنَّهُ، وإِنْ كانَ لَهُ فِيهِ نَصِيبٌ وَافِرٌ، إِلّا أَنَّهُ غَيْرُ مَعْدودٍ مِنْ عُلَمائِهِ. والذِي يُبْرِزُ لَنَا هَذا هُوَ إِمْساكُ آلَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ الوَاصِفةِ عِنْدَ

كُلِّ تَرْكيبٍ قُرْآنيٍّ يَكْشِفُ التَّحْليلُ اللُّغَويُّ المُؤَصَّلُ بَيْنَ اللُّغَةِ، والشَّريعةِ عَنْ أَنَّهُ مُقْتَضٍ لِثَقافةٍ شَرْعِيَّةٍ لا يَرى هُوَ وُجُوبَ أَنْ يَعْرِضَ إِلَيْها رَعْيًا لحدُودِ تَخَصُّصِهِ، وإِمْساكًا للنَّفْسِ عَنْ أَنْ تَقْفُوَ ما لا تَسْليمَ لَهَا فِيهِ؛ ولَسَوْفَ نَجْتَهِدُ في بَيَانِ هَذَا المَعْنى في مِثْلِ:

تَوْجِيهُ ما خَالَفَ القِياسَ: فمِنْ ذَلِك ما نَفْهَمُهُ مِنْ مَوْقِفِهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه:69 46]؛ وكانَ القياسُ: (إنَّ هَذَيْن)، وقَدْ جاءَ النَّحْويُّون في تَوْجيهِ هَذا، بِأَقْوالٍ كَثيرةٍ يَجْمعُ بَيْنها شَيْءٌ واحِدٌ؛ هو الإِصْرارُ على ردِّها لِمُقْتَضى الصَّنْعةِ، دونَ مُقْتَضى كَلامِ الله تَعالى، على أَنَّ الذي نَراهُ، والله تَعالى أَعْلَمُ، هو حملُ الآيةِ عَلى اللَّهْجةِ العَرَبيّةِ المَعْروفة، وأنَّ ما سِواهُ، آتٍ مِنْ خَلَلٍ مَنْهَجيٍّ كَبيرٍ في بحثِ لُغةِ القُرْآنِ الكَريم؛ هُوَ التَّهاوُنُ الذي تَنَزَّهَ عَنْهُ سِيبَوَيْهِ، والخلل في وَجْهَيْن:

- **أَوَّلُهُما:** تحكيمُ الضّيّقِ في الواسِع؛ على مَعْنى تَحْكيمِ النّحْوِ، في التَّفْسِير والتَّفْسيرُ أَوْسَعُ مِنَ النَّحْو؛ ومِنْ أُصُولِهم أَنْ "**لَيْسَ كُلُّ ما صَحَّ لُغَةً صَحَّ تَفْسِيرًا**"[47]؛ لِذا، فإنَّ الأَيْسَرَ مِنْ كُلِّ أَقْوالهم، والأَدْنى للتَّسْليم، هُوَ الحملُ على لُغَةِ بني الحارثِ بنِ كعبٍ التي تَلْزَمُ فيها إِنّ صُورةً واحِدةً مَع اخْتِلافِ الإِعْراب، كَما تَقَدّم؛ لأنَّ تَفْسِيرَ الآيةِ واقعٌ في ثَقافةٍ قُرْآنيّةٍ تَفْسِيريّةٍ، هِيَ أَوْسَعُ مِنَ النَّحْو؛ وهذا بَيَانٌ لِذَلِك:

ثانيهما: عَدَمُ الرُّجوعِ بكَلامِ الله إِلى كَلامِ الله تَعالى؛ فإنّه قدْ قصَّ القرآنُ الكريمُ عَنْ لقاءِ موسى، وفرعون وسَحَرتِه، في غَيْرِ سُورةِ "طه"، فقالَ تَعالى في "الأعرافِ"، على لِسَانِ الملأ، مِنْ قومِ فِرْعَون: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأعراف: 107-110]. وقالَ تَعالى في "الشُّعَراء": ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [الشُّعَراء: 34]. والقصّةُ، في المَواضِعِ الثّلاثِة؛ الأَعْراف، والشُّعَراء وطَهَ، واحِدَةٌ، وفي مَوْصُوفٍ واحدٍ، وضِمْنَ مَوْقِفٍ واحِدٍ، فهُوَ إمّا أنْ تكونَ (إنّ) مُؤكِّدةً في كُلٍّ، أَوْ جوابيّةً في كُلٍّ، فالمَوْضِعان اللّذانِ في الأَعْرافِ، والشُّعَراء يُرَجِّحانِ التّوْكيدَ على أنْ تكونَ جوابًا، بلْ يَقْضِيانِ به قضاءً يجعلُ كلَّ نظرٍ فيها بعده غَيْرَ قويمِ البتّة، بل يجعلُهُ نظرَ مَنْ لا عِلْمَ له بأُصُولِ التّفسيرِ والبَيَان، ونحنُ، هُنا، نَتَكلّمُ في العِلْم، لا في أَقْدارِ

العُلَمَاء[48]، لذا؛ فإنّ في القَوْلَ بأَنَّها حَرْفُ جَوابٍ إخلالًا بالقاعدةِ الجزئيّةِ التي تتعلّقُ بإمْكانِ بيانِ المُفْرَدةِ بسياقٍ لها أوضحَ مِن الأوّل[49]، مِنْ حيثُ أنّ اسْتِعْمالها في التّوكيدِ، في الأعرافِ والشُّعَراء، أوضحُ مِنْه في طه، فوجبَ حملُ تَفْسيرِ مَوْضعِ "طه" على مَوْضِعَيْ الأَعْرافِ والشّعراء، والله تعالى أعلمُ بالصّواب.

وبعدُ، فإنَّ مَأْتَى هذا الانحرافِ هُوَ تَحْكيمُ التّخصُّصِ، والصّنعةِ في التَّفْسِير، وهو مِنْ جُمْلةِ الاتّجاهاتِ المُنْحرفةِ في تَفْسيرِ القُرآنِ الكَريمِ الواجبِ دَفْعُها، كمَا في عِبارةِ الدُّكْتور مُحمّدٍ حُسَين الذّهبي؛ يَقولُ: "**وأَخِيرًا وَجَدْنا كلَّ مَنْ بَرَعَ في فنٍّ مِنَ الفُنُونِ يَغْلبُ على تَفْسِيرِه، بصُورةٍ واضِحةٍ فنُّهُ الذي بَرَع فيه؛ فالنَّحْويُّ أَكْبَرُ همِّهِ الإعْرابُ وسَرْدُ مسائلِ النَّحْوِ، وفُرُوعِه**"[50].

– وأَيْنَ سِيبَوَيْهِ مِنْ هَذا؟

اللَّافِتُ لِلنَّظَرِ عِنْدنا أنَّ سِيبَوَيْهِ وهُوَ العارفُ بمكانِ الآيةِ، لَمْ نَرَ لَه شَيْئَيْن: أَوَّلُهُما: أَنَّهُ لَمْ يُشارِكْ في تَوْجِيهها، عَلى الرَّغْمِ مِنْ تَناقُلِ الإشْتِغالِ بها عِنْدَ بعضِ مُتَقَدِّميه، ومِنْهم أَبُو عَمْرِو بْنِ العَلاء، وهُوَ مِنَ الإقْراءِ بحيثُ هُو، وقَدْ نُقِلَ عَنْهُ تَغْليطُ الكاتبِ فيها، وأَنَّهُ غَلَطٌ سَتُصْلِحُهُ العربُ بِأَلْسِنَتِها[51]. ومنهم أبُو الخطّابِ الأَخْفشُ الكَبير، وقولُه فيها الحمْلُ على اللَّهْجةِ الكِنانيّة[52]. ونُقولُ سِيبَوَيْهِ عَنْ أبي الخطّابِ كَثيرة، فَقَدْ بَلَغَتْ 47 مَرَّةً، بَلْ إنَّ بعضَ مَنْ بحثَ أبا الخطّابِ اعْتَمَدَ نُقولَ سِيبَوَيْه عَنْه بصورةٍ كَبيرةٍ[53]، ومَع ذلك لَمْ نَلْقَ سِيبويهِ أَبْدى رَأْياً في المَسْأَلة، فمَا تَفْسيرُ ذَلِك وما صِلَتُهُ بتَعْظيمِ الله تَعالى؟ إنَّ غايةَ ما عِنْدَ الرَّجُلِ أنَّهُ صَحَّحَ مجيءَ الحرفِ(إنَّ) بمَعْنى (أَجَل) في كَلامِ العَرب؛ قَالَ: "**وأمّا قولُ العربِ، في الجوابِ (إنّهْ) فَهُو بِمَنْزِلةِ (أَجَلْ)، وإذا وَصَلْتَ قُلْت: إنَّ يا فَتى، وهِيَ التي بِمَنْزِلةِ أَجَلْ. قالَ الشَّاعِرُ:**

بَكَرَ العواذلُ في الصَّبُو * حِ يَلُمْنَني وأَلُومُـــــــــهُنَّهْ

ويَقُلْنَ شَيْبٌ قد عَــلا * كَ، وقَد كَبِرْتَ فقلتُ: إنَّـــهْ"[54].

ونحنُ نُفَسِّرُ هذا بمعرفةِ الرَّجُلِ حُدودَ صَنْعَتِه، ومَشْمولاتِ فَنِّه، ويَقينِهِ بأنَّ التَّرْكيبَ الذِي في الآيةِ، لَيْسَ بالذي يَكْفي فِيهِ الوَصْفُ النَّحْويُّ، ويَتَعدَّاهُ إلى الوَصْفِ الشَّرْعيِّ الذي يَرى الإمْساكَ عَنْهُ أَلْيَقَ بحالِهِ؛ إذْ هُوَ في النّاسِ نَحْويٌّ، لا عالمُ قُرْآنٍ، ومِنْ هُنا فإنَّهُ، وإنْ صَحَّحَ صَلاحيَّةَ إنَّ للْجوابِ، إلّا أنَّهُ لَمْ يَشَأ أنْ يُشاركَ بِما عَلِمَهُ عَنْها في

تَوْجِيه الآيةِ الكريمة، وهذا مَعْناهُ أنّه لا يَراها جَوابِيَّةً فيها، وإلّا فما أَحْراهُ بأنْ يحتجَّ بها حيثُ احْتَجَّ بالبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْن، فَبَقِيَ أنّه يَراها إمّا التي لِلتَّوْكيد، وأنّ المُثَنّى مَعها في لُغةِ القَصْرِ عَلى كلامِ بني الحارثِ بْنِ كَعْب، وهُو، في هذا، آخِذٌ، رُبَّما، بِرَأْيِ شَيْخِهِ أبي الخطّاب، وإمّا أنّه يَراها مَسْألةً في التَّفْسِيرِ، ويَلْزَمُ لها التَّوَقُّرُ على ثقافةٍ أصوليّةٍ خاصَّةٍ، هُوَ مَعَها أحدُ رَجُلَيْن؛ غَيْرُ المُتَوَقِّرِ عَلَيْها، أوْ هُوَ التّاركُها لِغَيْرِهِ رَعْياً لحدودِ التَّخَصُّص، **وتَعْظيمًا لله تَعالى بِتَعْظيمِ الكَلامِ في كِتابِهِ بما لَيْسَ مُسَلَّمًا لَهُ فيه.** ومِنْ مَظَاهِرِ تَعْظيمِ سِيبَوَيْهِ لِكَلامِ الله تَعالى في تَوْجِيهِ ما خَالَفَ القِياسَ النَّحْويَّ عَدَمُ طَعْنِهِ في ما جَاءَ مِنَ القِراءاتِ على تِلْكَ الحالِ؛ أَيْ لَمْ تَكُنْ على اللُّغةِ المُطَّرِدةِ التي بُنِيَتْ عَلَيْها قَواعِدُ النَّحْو[55]، فالمَعْروفُ عَنْ سِيبَوَيْهِ احْتِرامُ القِراءات، فلا عَابَ قارئًا ولا خَطّأ قِراءةً، ولا أَنْكرَ حَرْفًا ممّا صَحَّ النَّقْلُ بِه[56]، وتَنْبِيهُهُ على أَنَّ الأَصْلَ في القِراءةِ هُوَ النَّقْلُ الصَّحِيحُ، ولَيْسَ النَّحْو؛ وتَصْريحُهُ بأنَّ القِراءَةَ سُنَّةٌ مُتَّبَعةٌ؛ قالَ: "أَمّا قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القَمَر:49]، فإنّما هُوَ على قَوْلِهِ: زَيْدًا ضَرَبْتُهُ، وهُوَ عَرَبِيٌّ كَثِيرٌ، وقَدْ قَرَأَ بَعْضُهم: "وأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْناهم"، **إِلَّا أَنَّ القِراءةَ لا تُخَالَفُ؛ لأَنَّ القِراءَةَ السُّنَّة**"[57] القمر.

– **خَاتِمةٌ، ونَتَائِجُ، وتَوْصِياتٌ:** نَخْلُصُ، مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الكَلِمَةِ، إلى أَنَّ تَعْظِيمَ الله، تَعَالى، قَدْ كانَ في حَيَاةِ سِيبَوَيْهِ، وعِلْمِهِ، مَعْنًى ظَاهِرَ الوُجُوهِ، مُسْتَقِيمَ الشَّوَاهِدِ بِمَا لا يَسْتَقِيمُ اسْتِغْرابُهُ؛ فالرَّجُلُ واحِدٌ مِنْ أَجْلِ عُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ، والرَّجُلُ إِمَامُ العَرَبِيَّةِ الأَوَّلُ، والعِلْمُ بالعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهَمِّ الطُّرُقِ المُوصِلَةِ إلى مَعْرِفَةِ الله تَعَالى، ولَقَدْ أَمْكَنَنا الوُقُوفُ عَلَى مَظَاهِرِ تَعْظِيمِ الله، تَعَالى، في حَيَاةِ سِيبَوَيْهِ، وفي عِلْمِ سِيبَوَيْهِ على أَنَّ الحَياةَ العِلْمِيَّةَ عِنْدَ المُسْلِمِينَ إِنَّما قامَتْ على أَسَاسٍ مِنْ تَقْوى الله، والقَصْدِ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيم، وهَذَا مَعْناهُ أَنَّ الإِسْلامَ كانَ المُحَرِّكَ الأَسَاسَ للعَمَلِ العَقْلِيِّ فِيها، وما هُوَ بالمُسْتَغْرَبِ، كَذَلِكَ؛ فإِنَّ العَرَبِيَّةَ لَمْ تَكُنْ في يَوْمٍ، لُغَةَ بحثٍ، ولِسَانَ مَعْرِفةٍ إِلّا بِمَجِيءِ الإِسْلامِ؛ وقَدْ نُقِلَ عَنْ أَبي عَمْرٍو قَوْلُهُ: "**كانَ الشِّعْرُ عِلْمَ قَوْمٍ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ أَصَحُّ مِنْهُ**".

والبَحْثُ في مَظَاهِرِ تَعْظِيمِ الله، عِنْدَ سِيبَوَيْهِ، يَنْتَهي إِلَى أَنَّها مُوَزَّعَةٌ عَلى:

1– نَشْأَتِهِ المُؤَسَّسَةِ عَلى تَحْصِيلِ العُلُومِ الدِّينِيَّةِ.

2- أَخْذِهِ العِلْمَ عَمَّنْ عُرِفُوا بالصَّلاحِ، والتَّقْوى، والخَلِيلُ رَأْسُهُمْ.

3- سَلامَةِ اعْتِقادِ سِيبَوَيْهِ في رَبِّهِ؛ فلَمْ يُوقَفْ، في عِلْمِهِ، على ما يُفْسِدُ دِينَهُ بِرَأْيٍ كَلامِيٍّ مِمَّا يَحِيدُ عَنِ المَأْثُورِ عَنِ النَّبيِّ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وصَحْبِهِ.

4- تَعْظِيمِ الله تَعَالى في:

- لُزُومِ الثَّنَاءِ على اسْمِهِ حَيْثُ يَرِدُ ذِكْرُهُ؛
- لُزُومِ الاِسْتِثْناءِ؛ بِقَوْلِ "إِنْ شَاءَ الله" عِنْدَ كُلِّ وَعْدٍ بما لَيْسَ كائِنًا وَقْتَ الكَلَامِ؛
- لُزُومِ رَدِّ العِلْمِ إلى الله، تَعَالى، في عَقِبِ كُلِّ قَوْلٍ في العِلْمِ بِقَوْلِ: "الله أَعْلَمُ"؛
- إِيثارِ التَّمْثِيلِ النَّحْويِّ بِمَا يَقْتَرِنُ باسْمِ الله تَعَالى؛ نَحْوَ "جاءَ عَبْدُ الله" وضَرَبَ وفَعَلَ، وفَعَلَ، ما أَكْثَرَ مِنْ مَعْنى العُبُودِيَّةِ لله في كِتَابِهِ، ومِنْ دَوَرانِ اسْمِ الله تَعَالى فِيهِ؛
- تَعْظِيمِ كَلَامِ الله تَعَالى بِلُزُومِ مَنْهَجٍ في بَحْثِهِ يُراعِي فِيهِ الفَصْلَ بَيْنَ ما يَكْفِي فِيهِ التَّحْلِيلُ النَّحْويُّ، وبَيْنَ ما يَلْزَمُ فِيهِ أَدِلَّةٌ تَفْسِيريَّةٌ أُخْرى مُشارِكَةٌ للنَّحْوِ في تَفْسِيرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ؛
- تَعْظِيمِ كَلَامِ الله تَعَالى بِتَرْكِ القَدْحِ في القِراءَةِ التي لا تُوَافِقُ القِياسَ النَّحْويَّ وعَدَمِ الطَّعْنِ في القُرَّاء، والتَّسْلِيمِ بِأَنَّ القِراءَةَ لا تُخالَفُ، وأَنَّها سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ.

هَذا، وغَيْرُهُ مِمَّا يَقُومُ دَلِيلًا قاطِعًا على أَنَّ سِيبَوَيْهِ ما كانَ لِيَبْلُغَ مَرْتَبَةَ الإِمَامةِ في ما اخْتَصَّ بِهِ مِنَ العِلْمِ إِلّا بما امْتَلَأَتْ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ تَقْوى الله، وَمُراقَبَتِهِ، وبِما امْتَلَأَ بِهِ فُؤَادُهُ مِنْ تَعْظِيمِ الله تَعَالى.

مَرَاجِعُ البَحْثِ:

1- **أَبُو الخطّاب الأَخْفَشُ الكَبيرُ، حَياتُه-آراؤُه،** حَياةُ مُحَمَّدٍ مُصْطفى عُقاب بحثُ ماجِسْتير، إِشْرافُ الدُّكْتورُ محمُودٌ محمَّدٌ الطّنَاحِيّ، جامِعةُ أمّ القُرى، كُلِّيَّة اللُّغةِ العَرَبية، فَرْعُ اللُّغَويّات، 1402-1403هـ.

2- **الاتّجاهاتُ المُنْحَرِفةُ في تَفْسِير القُرْآن، دَوافِعُها ودَفعها**، د. مُحَمَّدُ حُسَينٍ الذّهَبيّ، مَكْتبةُ وَهْبة، مِصْر، الطّبْعة الثّالِثة، 1406هـ، 1986.

3- **أُصُولُ النَّحْوِ العَرَبيّ، أُصُولُهُ وأُسُسُهُ وقَضاياهُ وكُتُبُه، مَع رَبْطِهِ بالدَّرْسِ اللُّغَويِّ الحَدِيث،** د. مُحَمَّدُ إِبْراهِيمَ عُبَادة، مَكْتَبةُ الآدابِ، القَاهِرة، الطَّبْعةُ الأُولى 1430هـ،2009.

4- **الإمَامُ الهُذَلِيُّ، ومَنْهَجُهُ في كِتَابِهِ الكَامِلُ في القِراءاتِ الخَمْسِين**، د. عَبْدُ الحَفِيظِ بنُ مُحَمَّدٍ نُورُ الهِنْدي، رِسالَةُ دُكْتوراه مَخْطُوطة، جامِعةُ أُمِّ القُرى، كُلِّيَّةُ أُصُولِ الدِّين، قِسْمُ الكِتابِ والسُّنَّة، شُعْبةُ التَّفْسيرِ وعُلُومِ القُرْآن، العامُ الجَامِعيّ، 1428هـ 1429هـ، 2007، 2008.

5- **إنْباهُ الرُّواة عَلى أَنْباهِ النُّحاة**، لجمالِ الدّين عَلي بن يُوسُف القِفْطي، تحقيقُ مُحمّد أبو الفَضْل إبْراهيم، دارُ الفِكْر العَربيّ، القاهِرة، مُؤَسّسةُ الكُتُبِ الثّقافيّة، الطَّبْعةُ الأُولى، 1406هـ، 1986.

6- **تَفْسِيرُ القُرْآنِ بالقُرْآن، دِراسةٌ تاريخيةٌ ونَظَرِيةٌ**، د. مُحمّد قَجْوي، الرّابطةُ المُحَمَّديّةُ للعُلَماء، ومرَكْز الدِّراساتِ القُرْآنية، الرّباط، المَغْرب، طَبْعُ مَطْبعةِ المَعارفِ الجَديدة، الرّباط، المَغْرب، الطّبْعة الأُولى، 1436هـ، 2002.

7- **الجامِعُ الصَّحيحُ (=صَحيحُ البُخَاري)**، للإمامِ البُخَاري، دارُ ابنِ الجَوْزي القاهِرة، الطَّبْعةُ الأُولى، 2011.

8- **حُجّة القِراءات**، لأبي زَرْعةَ بْنِ زَنْجِلة تحقيقُ سَعِيدٍ الأَفْغاني، مُؤَسَّسةُ الرِّسالة، بَيْروت، لُبْنان، الطَّبْعة الخامِسة، 1997.

9- **الخَصَائِص**، لأَبي الفَتْحِ عُثْمانِ بنِ جِنِّي، تحْقيقُ مُحَمَّدِ عَليٍّ النَّجَّارِ، المَكْتَبةُ العِلْمِيَّة، مِصْر، (د ت).

10- **الذَّرِيعةُ إلى تَصانِيفِ الشِّيعة**، الشَّيْخُ آغا بُرْزُك الطَّهْراني، دَارُ الأَضْواء بَيْروت. دُونَ تَاريخ.

11- **سِيبَوَيْهِ إمامُ النُّحاة**، عَليٌّ النَّجْدي ناصِف، عَالَمُ الكُتُب، الطَّبْعةُ الثّانية 1399هـ، 1979.

12- **شَرْحُ أُصُولِ اعْتِقادِ أَهْلِ السُّنّةِ والجَماعة**، لِهِبةِ الله بنِ الحسَنِ بنِ مَنْصورِ الطَّبَريّ اللّالِكائي، تحقيقُ نَشْأَتْ بن كَمال المِصْريّ،

13- **صَحيحُ مُسْلم**، للإمامِ مُسْلِمٍ، دارُ "زاد" للنَّشْرِ والتَّوْزيع، القاهِرة، الطَّبْعةُ الأُولى، 1433هـ، 2012.

14- **طَبَقاتُ المُعْتَزِلة**، أَحْمدُ بنُ يحيَ بنِ المُرْتَضى، دارُ المُنْتَظر، بَيْروت لُبْنان.

15- **طَبقاتُ النَّحْويّينَ واللُّغَويّين**، لأَبي بَكْرٍ مُحمّدِ بنِ الحسَنِ الزَّبيدي، تحقيقُ محمّدٍ أبو الفَضْلِ إبْراهيم، دارُ المَعارف، مِصْر.

16- **عِلْمُ إعْرابِ القُرْآنِ، تَأْصيلٌ وبَيانٌ**، د. يُوسُفُ بْنُ خَلَفٍ العِيساويّ، دارُ الصُّمَيْعي لِلنَّشْرِ والتَّوْزيعِ، الرِّياضُ، الطَّبْعةُ الأُولى، 1428هـ، 2007.

17- **غَايَةُ النِّهايةِ في طَبقاتِ القُرّاء**، محمّدُ بنُ محمَّدٍ بنِ محمَّدٍ بنِ عليٍّ بنِ الجزريِّ الدِّمَشْقيّ الشَّافِعيّ، شَمْسُ الدّين أَبُو الخَيْر، تحقيقُ بِرْجِسْتراسِر، دارُ الكُتُبِ العِلْميّة، 1427، 2006.

18- **الكِتابُ**، لِسِيبَوَيْه، تحقيقُ: د. عَبْدُ السَّلامِ هارون، مَكْتبةُ الخانجي، القَاهِرة الطَّبْعةُ الرّابِعة، 1425هـ، 2004.

19- **مَجْموعُ فَتاوى ابنِ تَيْمِيّة**، تحقيقُ عامِرِ الجزّار وأَنْورِ الباز، دارُ الوَفاءِ للطِّباعَةِ والنَّشْرِ والتَّوْزيع، مِصْر، الطَّبْعةُ الثّالِثة، 1426هـ، 2005.

20- **مَدارجُ السّالِكينَ بَيْن مَنازِل "إيّاك نَعْبُدُ وإيَّاك نَسْتَعينُ"**، لابْنِ قَيِّم الجَوْزيّة تحقيقُ وتَعْليقُ محمّدٍ المُعْتَصِمِ بالله البَغْداديّ، دارُ الكِتابِ العَرَبيّ، بَيْروت، لُبْنان 1423هـ، 2003.

21- **مَرْكَزِيَّةُ سِيبَوَيْهِ في الثَّقافةِ العَرَبِيَّة**، أَعْمالُ النَّدْوةِ الدَّوْلِيَّة، تَنْظِيمُ شُعْبةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وآدَابِها بكُلِّيَّةِ الآدابِ والعُلُومِ الإِنْسَانِيَّة، بتِطْوان، بالمَمْلَكَةِ المَغْرِبِيَّة يَوْمَيْ الأَرْبِعاء والخَمِيس 14 و15 رَبِيعٌ الأَوَّلَ 1438هـ/ 14و15 مِنْ دِيسَمْبر 2016.

22- **مُصْطَلَحُ (الخُلْف) في كِتابِ سِيبَوَيْهِ**، د. المُتَوَلّي مَحْمودٌ المُتَوَلّي عَوَضٌ حِجَاز، جامِعَةُ أُمِّ القُرى، مَكَّةُ المُكَرَّمَة، الرِّسَالة 405، حَوْلِيَّاتُ الآدابِ والعُلُومِ الاِجْتِماعِيَّة، الحَوْلِيَّةُ الرَّابِعةُ والثَّلاثونَ، 1435هـ، 2014.

23- **مَعْرِفةُ القُرّاءِ الكِبارِ على الطَّبَقاتِ والأَعْصار**، لشَمْسِ الدِّينِ الذَّهَبيّ، دارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّة، الطَّبْعةُ الأُولى، 1417هـ، 1997.

24- **مَعْنى "لا إلَهَ إلَّا الله"**، أَبُو عَبْدِ الله بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ بنُ عَبْدِ الله بنِ بَهَادِرَ الزَّرْكَشيّ الشَّافِعِيّ (المُتَوَفّى: 794هـ، تحقيقُ عَليٍّ مُحْيِ الدِّينِ القَرَهْ راغي، دارُ الاِعْتِصام، القَاهِرةُ، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَة، 1405هـ، 1985.

25- **مَفَاتيحُ الأَغَاني في القِراءاتِ والمَعاني**، أَبُو العَلاء الكَرْمانيّ، دِراسةُ وتحقيقُ د. عَبْدُ الكريمِ مُصْطَفى مُدْلِج، تَقْديم: مُحْسِن عَبْد الحميد، دَارُ ابْنِ حَزْم مِصْر، الطَّبْعةُ الأولى، 2002.

26- **مَنَاهِجُ اللُّغَوِيِّينَ في تَقْريرِ العَقِيدةِ إلى نِهايَةِ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْريّ**، د. مُحَمَّدٌ الشَّيْخُ عِلِيو مُحَمَّد، دارُ المِنْهاجِ للنَّشْرِ والتَّوْزيع، الرِّياضُ، 1427هـ.

27- **مَنْهَجُ سِيبَوَيْهِ في الاسْتِشْهادِ بالقُرْآنِ الكَرِيمِ وتَوْجِيهِ قِرَاءَاتِهِ ومَآخِذِ بَعْضِ المُحْدَثِينَ عَلَيْهِ، دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ نَحْوِيَّةٌ وصَرْفِيَّة**، د. سُلَيْمانُ يُوسُفَ خَاطِر مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ ناشِرون، المَمْلَكة العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيّة، الطَّبْعةُ الأُولى، 1428هـ، 2008

28- **النَّحْوُ العَربيّ، نَشْأَتُه، تَطَوُّرُه، مَدارِسُه، رِجالُه**، د. صَلاح رَوّاي، دَارُ غَريب، القاهِرة، 2003.

29- **وَفَيَاتُ الأَعْيانِ وأَنْباءُ أَبْناءِ الزَّمَان**، لِشَمْسِ الدِّينِ بنِ خِلِّكان، تَحْقيقُ: إِحْسانُ عَبَّاسٍ، دارُ صَادِر، بَيْروت. دُونَ تَارِيخٍ.

الهوامش:

(1) د. صَلَاحُ رَوَّاي النَّحْوُ العَرَبِيُّ، نَشْأَتُهُ، تَطَوُّرُهُ، مَدَارِسُهُ، رِجَالُهُ، ص:195.

(2) سِيبَوَيْهِ، إِمَامُ النُّحَاةِ، ص: 81.

(3) الكِتَابُ، 89/1.

(4) يُنْظَرُ: د. عَبْدُ الله النُّغَيمُشي الْتِزامُ سِيبَوَيْهِ الدِّينيُّ؛ مَظَاهِرُهُ، وأَثَرُهُ، بحثٌ ضِمْنَ أَعْمالِ النَّدْوةِ الدَّوْلِيَّةِ العِلْمِيَّةِ: مَرْكَزِيَّةُ سِيبَوَيْهِ في الثَّقافَةِ العَرَبِيَّةِ، 493/2.

(5) يُنْظَرُ: الكِتَابُ، فِهْرِسُ شَواهِدِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، 07/5.

(6) وَفَيَاتُ الأَعْيانِ، 284/1.

(7) يُنْظَرُ: د. عَبْدُ الله النُّغَيمُشي الْتِزامُ سِيبَوَيْهِ الدِّينيُّ؛ مَظَاهِرُهُ، وأَثَرُهُ، بحثٌ ضِمْنَ أَعْمالِ النَّدْوةِ الدَّوْلِيَّةِ العِلْمِيَّةِ: مَرْكَزِيَّةُ سِيبَوَيْهِ في الثَّقافَةِ العَرَبِيَّةِ، 493/2.

(8) ابنُ الجَزَريّ غَايَةُ النِّهايَةِ في طَبَقاتِ القُرَّاءِ، 531/1. (تَرْجَمةٌ رَقْم:2459).

(9) الذَّهَبيّ، مَعْرِفةُ القُرَّاءِ الكِبارِ عَلى الطَّبَقاتِ والأَعْصارِ، 349/1.

(10) يُنْظَرُ مُفَصَّلًا في: عَبْدُ الحَفِيظِ بنُ مُحَمَّدٍ نُورِ بنِ عُمَرَ الهِنْدِي،الإِمَامُ الهُذَلِيُّ ومَنْهَجُهُ في كِتَابِهِ "الكَامِلُ في القِراءاتِ الخَمْسِينَ"، أُطْروحةُ دُكْتوراه مَخْطُوطةٌ، ص:79.

(11) مَنْهَجُ سِيبَوَيْهِ في الِاحْتِجاجِ بالقِراءاتِ، ولَهَا، ص:18.

(12) مَنْهَجُ سِيبَوَيْهِ في الِاحْتِجاجِ بالقِراءاتِ، ولَهَا، ص:19.

(13) الكِتَابُ، 549/3، وانْظُرْ: سِيبَوَيْهِ إِمَامُ النُّحَاةِ، ص:95.

(14) إِنْبَاهُ الرُّوَاة، 255/2.

(15) طَبَقاتُ النَّحْوِيِّينَ واللُّغَوِيِّينَ، ص:66.

(16) يُنْظَرُ: عَلِيُّ النَّجْديُّ ناصِفٌ سِيبَوَيْهِ إِمَامُ النُّحَاةِ، ص:80-81.

(17) يُنْظَرُ: د. صَلَاحُ رَوَّاي النَّحْوُ العَرَبِيُّ، نَشْأَتُهُ، تَطَوُّرُهُ، مَدَارِسُهُ، رِجَالُهُ، ص:165.

(18) قالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ: "**فَمَنِ اعْتَقَدَ الوَحْدَانِيَّةَ في الأُلُوهِيَّةَ لله، سُبْحَانَهُ وتَعَالى والرِّسَالَةَ لِعَبْدِهِ ورَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يُتْبِعِ هَذَا الِاعْتِقادَ مُوجِبَهُ مِنَ الإِجْلالِ، والإِكْرَامِ الذي هُوَ حالٌ**

في القَلْبِ يَظْهَرُ أَثَرُهُ على الجَوَارِحِ، بَلْ قَارَنَهُ الإِسْتِخْفافُ، والتَّسْفِيهُ والإِزْدِراءُ بالقَوْلِ، أَوْ بالفِعْلِ، كانَ وُجُودُ ذَلِكَ الإِعْتِقادِ كَعَدَمِهِ، وكانَ ذَلِكَ مُوجِبًا لِفَسَادِ ذَلِكَ الإِعْتِقادِ، ومُزِيلًا لِما فِيهِ مِنَ المَنْفَعَةِ، والصَّلَاحِ". يُنْظَرُ: الصَّارِمُ المَسْلُولُ، 375/1.

(19) قَالَ الزَّياشِيُّ: "**كانَ سِيبَوَيْهِ سُنِّيًّا على السُّنَّةِ**"، [طَبَقاتُ النَّحْوِيِّينَ، واللُّغَوِيِّينَ للزَّبِيدي ص:68.] ومُرَادُنا هُنَا مِنْ نَقْلِ هَذَا، هُوَ النَّأْيُ بسِيبَوَيْهِ عَنِ التَّعَصُّبِ للرَّأْيِ، واتِّبَاعِ الهَوَى ولَيْسَ مُجَرَّدَ تَبْرِئَتِهِ مِنَ الإِنْتِسابِ لِطَائِفَةٍ إِسْلامِيَّةٍ؛ فإِنَّ المُعْتَزِلِيَّ، مَثَلًا، يُعَظِّمُ الله إِنَّما التَّعَصُّبُ لِلْهَوى هُوَ ما قَدْ يَجْعَلُ الرَّجُلَ لا يُرَاقِبُ رَبَّهُ في قَوْلِهِ بِقَدْرِ ما يَحْرِصُ على دَحْضِ حُجَّةِ خَصْمِهِ؛ قِيلَ لِأَبي بَكْرِ بنِ عَيَّاشٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ؛ ما السُّنِّيُّ؟ قالَ: الذي إِذَا ذُكِرَتْ لَهُ الأَهْواءُ لم يَتَعَصَّبْ لِشَيْءٍ مِنْها" [شَرْحُ أُصُولِ اعْتِقادِ أَهْلِ السُّنَّةِ، 65/1، ومَنَاهِجُ اللُّغَوِيِّينَ في تَقْرِيرِ العَقِيدةِ، د.مُحَمَّدٌ الشَّيْخُ عِلِيو مُحَمَّد، ص168، والْتِزامُ سِيبَوَيْهِ الدِّينيُّ؛ مَظَاهِرُهُ وأَثَرُهُ، د. عَبْدُ الله النُّغَيْمُشي، بحثٌ ضِمْنَ أَعْمالِ النَّدْوةِ الدَّوْلِيَّةِ العِلْمِيَّةِ: مَرْكَزِيَّةُ سِيبَوَيْهِ في الثَّقافَةِ العَرَبيَّةِ، 490/2.]

(20) الخَصَائِصُ، 33/1.

(21) مَجْمُوعُ فَتَاوَى ابنِ تَيْمِيَّة، 202/6.

(22) د. مُحَمَّدٌ الشَّيْخُ عِلِيو مُحَمَّد، مَنَاهِجُ اللُّغَوِيِّينَ في تَقْرِيرِ العَقِيدةِ، ص: 173.

(23) الكِتَابُ، 132/1. وفي هَذَا بَيَانٌ لِبَراءةِ سِيبَوَيْهِ مِنَ الإِعْتِزال، خِلَافًا لِمَنْ نَسَبَهُ إِلَى المُعْتَزِلَة؛ [طَبَقاتُ المُعْتَزِلَةِ، المُرْتَضَى، ص: 131]، كَمَا في غَيْرِهِ بَيَانٌ لِبَرَاءَتِهِ مِنَ التَّشَيُّعِ خِلَافًا لِمَنْ رَأَى نِسْبَتَهُ إِلى الشِّيعَةِ؛ فإِنَّ سِيبَوَيْهِ حِينَ ذَكَرَ عَلِيًّا في كِتَابِهِ تَرَضَّى عَنْهُ، وِفَاقًا لِمَذْهَبِ السُّنَّةِ، وعَلى غَيْرِ العَادَةِ مِمَّا عِنْدَ الشِّيعةِ؛ وذَلِكَ قَوْلُهُم: "عَلَيْهِ السَّلَامُ". [الكِتَابُ، 2/ 297، والذَّرِيعةُ إِلى تَصَانِيفِ الشِّيعَةِ، آغا بُزُرْك الطَّهْرانيُّ، 261/17].

(24) يُنْظَرُ مُفَصَّلًا في: م د. مُحَمَّدٌ الشَّيْخُ عِلِيو مُحَمَّد، مَنَاهِجُ اللُّغَوِيِّينَ في تَقْرِيرِ العَقِيدةِ ص: 172.

(25) د. عَبْدُ الله النُّغَيمُشي الْتِزامُ سِيبَوَيْهِ الدِّينيُّ؛ مَظَاهِرُهُ، وأَثَرُهُ ، بحثٌ ضِمْنَ أَعْمالِ النَّدْوةِ الدَّوْلِيَّةِ العِلْمِيَّةِ: مَرْكَزِيَّةُ سِيبَوَيْهِ في الثَّقافَةِ العَرَبيَّةِ، 491/2.

(26) الكِتَابُ، 197/2.

(27) الكِتَابُ، 21/1.

(28) الكِتَابُ، 195/1.

(29) كِتَابُ مَعْنى "لَا إِلَهَ إِلَّا الله"، للزَّرْكَشِيِّ، ص: 106. ويُنْظَرُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ: الْتِزامُ سِيبَوَيْهِ الدِّينيُّ؛ مَظَاهِرُهُ، وأَثَرُهُ، د. عَبْدُ الله النُّغَيمُشي، بحثٌ ضِمْنَ أَعْمالِ النَّدْوةِ الدَّوْلِيَّةِ العِلْمِيَّةِ: مَرْكَزِيَّةُ سِيبَوَيْهِ في الثَّقافةِ العَرَبيَّةِ، 496/2.

(30) الْتِزامُ سِيبَوَيْهِ الدِّينيُّ؛ مَظَاهِرُهُ، وأَثَرُهُ، د. عَبْدُ الله النُّغَيمُشي، بحثٌ ضِمْنَ أَعْمالِ النَّدْوةِ الدَّوْلِيَّةِ العِلْمِيَّةِ: مَرْكَزِيَّةُ سِيبَوَيْهِ في الثَّقافةِ العَرَبيَّةِ، 498/2.

(31) الكِتَابُ، 69/2.

(32) ابنُ عَاشُور التَّحْريرُ والتَّنْويرُ، 295/15.

(33) للنَّسَائيِّ المُجْتَبى (=سُنَنُ النَّسَائيّ)، دارُ ابْنِ الجَوْزي، القَاهِرةُ، الطَّبْعةُ الأُولى 2011. ص: 315.

(34) الكِتَابُ، 12/1.

(35) الكِتَابُ، 21/1.

(36) الكِتَابُ، 51/1.

(37) الكَهْفُ: 23–24.

(38) يُوسُفُ: 76.

(39) الكِتَابُ، 331/1.

(40) الكِتَابُ، 195/2.

(41) الكِتَابُ، 341/1.

(42) يُنْظَرُ: ابنُ جِنِّي، الخَصَائِصُ،284/1 ود. يُوسُفُ العِيسَاوي عِلْمُ إِعْرابِ القُرْآنِ تَأْصِيلٌ وبَيَانٌ، ص:241.

(43) الكِتَابُ، 265/2.

(44) د. المُتَوَلّي مَحْمودٌ المُتَولّي عَوَضٌ حِجَازٌ مُصْطَلَحُ (الخُلْفُ) في كِتَابِ سِيبَوَيْهِ ص:36.

(45) يُنْظَرُ مُفَصَّلًا في: د. يُوسُفُ بنُ خَلَفٍ العِيسَاوي عِلْمِ إِعْرابِ القُرْآنِ، تَأْصِيلٌ وبَيَانٌ ص:241.

(46) سُورةُ طَهَ: 69.

(47) حُسَينُ بنُ عليّ بنُ حُسين الحَرْبي، قَواعِدُ التَّرْجِيحِ عِنْدَ المُفَسِّرينَ، دِراسَةٌ نَظريَّةٌ تَطْبيقيّة، ص:56.

(48) يَنْقُلُ السُّيُوطيُّ عَنْ أبي حَيَّانٍ، في الاقْتِراحِ، والإتْقَانِ، قولَه: "**ولَسْنا مُتَعَبَّدينَ باتِّباعِ جُمْهُورِ البَصْرِيّين، بَلْ نَتَّبِعُ الدّليل**"، الإتْقان، 384/2، ويَقُولُ ابْنُ جِنّي، في الخصَائِص:

"**النَّحْوُ عِلْمٌ مُنْتَزَعٌ مِن اسْتِقْراءِ هذه اللُّغةِ فكلُّ مَنْ فَرَقَ له عَنْ عِلَّةٍ صحيحةٍ، وطريقٍ نَهْجَةٍ كان خَليلَ نَفْسِه، وأَبا عَمْرو فِكْرِه**"، الخصائص، 189/1.

(49) د. محمّد قَجْوي تَفْسيرُ القُرْآنِ بالقُرْآن، ، ص: 442.

(50) د. محمد حُسَين الذّهبي لاتّجاهاتُ المُنْحَرِفةُ في تَفْسِير القُرْآن، دَوافِعُها ودَفْعُها، مَكْتبةُ وَهْبة، مِصْر، الطّبْعة الثّالِثة، 1406هـ، 1986ص: 16 وص: 39.

(51) يُنْظَر: أَبُو العَلاءِ الكَرْمانيّ مَفاتِيحُ الأَغاني في القِراءاتِ والمَعاني، ص: 274.

(52) يُنْظرُ: ابْنُ زِنْجِلة، حُجّةُ القِراءات، ص: 454.

(53) يُنْظرُ مَثَلاً: حَياة محمد مُصْطفى عُقاب،أبُو الخطّاب الأَخْفَش الكَبير، حَياتُه–آراؤُه بحثُ ماجِسْتير، إشْرافُ الدُّكْتور محمُودٌ محمّد الطّنّاحي، جامِعةُ أمّ القُرى، كُلِّيّة اللُّغةِ العَرَبية فَرْعُ اللُّغَويّات، 1402–1403هـ، ص:39.

(54) الكِتابُ: 151/3

(55) يُنْظَرُ: د. مُحَمَّدٌ إبْراهيمُ عُبَادةٍ النَّحْوُ العَرَبيُّ، أُصُولُهُ، وأُسُسُهُ، وقَضَاياهُ، وكُتُبُهُ ص:24.

(56) يُنْظَرُ: د. سُلَيْمانُ يُوسُفَ خَاطِرٍ مَنْهَجُ سِيبَوَيْهِ في الاِسْتِشْهادِ بالقُرْآنِ الكَرِيمِ، وتَوْجِيهِ قِرَاءاتِهِ، ومَآخِذُ بَعْضِ المُحْدَثِينَ عَلَيْهِ، ، ص: 241.

(57) الكِتَابُ، 148/1.